عنها فانتج ذلك قوله تعالى يسبحون اي ينزهون المستحق للتنزيه بانواع
التنزيه من الاقوال والافعال الليل والنهار اي جميع انائهما دائما لا يفترون
اي عن ذلك وقتا من الاوقات فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل
ولما كانوا عند هذا البيان جديرين بان يبادروا الى التوحيد فلم يفعلوا
كانوا حقيقين بعد الاعراض عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال تعالى
ام اتخذوا اي بل اتخذوا وام بمعنى بل للانتقال والهمزة لانكار اتخاذهم
الهة من الارض ومعنى نسبتها الى الارض للايذان بانها الاصنام التي تعبد
في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة
التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما
فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي هي
الاصنام لا اثبات ان السما مكان الله تعالى ويجوز ان يراد الهة من جنس
الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض
هم ينشرون اي يحيون الموتى لا وهم وان لم يصرحوا بذلك لزم ادعاؤ
لها الهية يقدرون على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات
والمراد انها تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى اقام البرهان القطعي على انتفاء غيره
ببرهان التمانع وهو اشد برهان لاهل الكلام فقال لو كان فيهما اي السموات
والارض اي تدبيرهما الهة الا الله اي غير الله لفسدتا اي لخرجتا عن
نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد
الحكم وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشرف كان عليّ
والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر
واما طريقة التمانع فقال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال لانا
لو فرضنا وجود الهين فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد
وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه والاخر اراد تسكينه فاما
ان يقع المراد وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما
وهو محال لان المانع من وجود مراد ذلك وبالعكس ويقع مراد احدهما دون
الاخر وذلك ايضا محال لان الذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده
يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال فثبت ان الفساد لازم على كل
التقديرات واذا وقفت على هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي حقيقة
والسفلي من المخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى والدلايل السمعية
على الوحدانية كثيرة في القران ولما افاد هذا الدليل ان لا يجوز ان يكون
المدبر للسموات والارض الا واحدا وان ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى
فسبحان الله اي فتسبب عن ذلك تنزه المتصف بصفات الكمال

رب اي خالق

رب اي خالق العرش اي الكرسي المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدبير
ومنشا التقادير عما يصفون اي الكفار الله به من الشريك له وغيره ثم
بين تعالى ذلك بقوله تعالى لا يسأل لا اي من سائل ما عما يفعل لعظمته
وقوة سلطانه واذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسالهم من في مملكتهم
عن افعالهم وعن ما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا
مع ان جواز الخطا والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب
الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسئل عن افعاله مع ما علم واستقر
في العقول مع ان ما يفعله كل مفعول به واعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا
وهم يسئلون ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا لشانهم واستعظا مًا
لكفرهم واظهار الكفرهم لجهلهم ولما كان جوابهم اتخذناها ولا نرجع امر الله تعالى
نبيه بجوابهم فقال قل هاتوا برهانكم على ما ادعيتموه من عقل او نقل
كما انت انا برهان النقل المؤيد بالعقل ولما كان تعالى لا يؤاخذ بمخالفة
العقل ما لم ينضم اليه دليل النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله تعالى به
الرسل من الكتب هذا ذكر اي موعظة وشرف من معي ممن امن بي
وهو القران الذي عجزتم عن معارضته وذكر اي وهذا ذكر من قبلي من الامم
الماضية وهو التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل
تجدوا فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ولما كانوا لا يجدون شبهة
لهم فضلا عن حجة ذمهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق فقال تعالى بل اكثرهم
اي هولا المدعون لا يعلمون الحق فلا يميزون بينه وبين الباطل بل هم جهلة
والجهل اصل الجهل والفساد فهم اي فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا
به السورة من انهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل ولما كان الارسال
بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم كما ان الرسالة لا يقوم بها كل احد
فكذلك الارسال لا يصلح الهكم له كل زمن اثبت الجار في قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك واغرق في النفي فقال من رسول في جميع الاولين الا نوحي اليه من
من عندنا انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا مقرر لما سبقه من ان التوحيد
وقال تعالى الا انا ولم يقل نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة الى ما ادعوه من تعدد
الالهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرا حفص وحمزة والكسائي
بالنون وكسر الحا والباقون بالياء وفتح الحا ولما بين سبحانه وتعالى بالدلايل الباهرة
كونه منزها عن الشريك والضد والند ردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد بقوله
وقالوا اتخذ اي وكلف من تكلف ان يكون له ولد الرحمن اي الذي كل
موجود من فيض نعمه ولدا نزل في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله
وقيل نزل ذلك في اليهود حيث قالوا انه تعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة
سبحانه اي تنزه عن ان يكون له ولد فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين

Copyright … University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)